

FREGA MEETS SUNDAR



FERDINANDO FREGA

فريغا يلتقي سوندار

THE COMPANY · 11

من ريجو كالابريا إلى تشيناي، على خطى سوندار بيتشاي.

حين سمعت ذلك الاسم أول مرة، تساءلت بجدية من يكون هذا بحق الجحيم. كان الجميع يتحدثون عنه. كاد يحلّ محلّ الناصري — إلا أن عمره لم يكن 2,000 عام. كان في الـ54 فقط، وقد جاء من تلك الأرض الرائعة التي تُدعى الهند.

المكان الوحيد في العالم الذي تتنفس فيه هواءً إنجليزيًا لكنك تعيش بثقافة آسيا وأناقته، وسط مزيج من 22 لغة، حيث يقيم بصورة دائمة نحو 1.5 مليار إنسان.

لكن لنعد إلى حكايتنا: كان هذا الاسم مرتبطًا بشركة تُدعى ALPHABET. لم أكن أعرف من هم هؤلاء أيضًا. ظننتها نوعًا من الائتلاف أنشئ من أجل أمميّ العالم، أولئك الذين لم يحظوا قط بحظ تعلّم القراءة والكتابة. ثم أدركت أنني لم أكن مخطئًا تمامًا، لأن هذا بالضبط ما كانت تُعنى به — غير أن النصوص والقراءة والأدب كانت تعيش داخل الشبكة، التي كانت تستخدم شيفرتين: العشرية البشرية والثنائية الخوارزمية.

كنت فضوليًا لأفهم الرجل، فركبت قطارًا، مثل كبلنغ، وسافرت من ريجو كالابريا إلى بومباي، التي يسمونها اليوم مومباي.

كانت وجهتي واضحة. كانوا ينتظرونني في تشيناي، في ولاية تاميل نادو جنوب الهند، حيث سيستضيفني إخوة المحفل. كان الجميع يعلمون — من المحفل الأكبر لإنجلترا نزلًا — أن الأخ فريغا يعيش على 70 دولارًا أمريكيًا في الشهر، وأنه لم يعتد أن يطلب شيئًا من أحد.

وها أنا ذا، قد وصلت أخيرًا. كانوا في انتظاري وأخذوني إلى بيتهم، لكنني رفضت وحاولت أن أستأجر غرفة بدلًا من ذلك. فإقامة ثلاثة أيام كانت في حدود إمكانياتي المادية وتناسب ميزانيتي.

لم يكن لديّ سوى بضع ساعات لأعتاد المكان حين وصل ريغوناثا ليصطحبني. إلى أين كنا ذاهبين؟

المعهد الهندي للتكنولوجيا في مدراس.

ما إن وصلنا، وبالكاد تجاوزنا المدخل الأول للجامعة، حتى رأيت لافتة صعقتني كالبرق. شعارهم، بالسنسكريتية، كانت ترجمته:

النجاح يأتي من العمل.

استقبلنا أستاذان، أخوان ماسونيان، فبدأت على الفور أسألهم عن سوندار. كنت مقتنعا بأنه درس في مدراس في الأيام التي كنا فيها لا يزالان مساعدين.

اعترف الأستاذان بأنهما يعرفان من يكون، مع أنه في الحقيقة درس في خراغبور. لكننا هنا، قالوا، نعدّه جميعًا واحدًا منا.

قبل أي شيء آخر، شرحا لي أين كنا. لم يكن هذا مجرد حرم جامعي ما في بوسطن. كنا داخل شيء مذهل: فالمعهد الهندي للتكنولوجيا في مدراس كان يملك أيضًا قدرة حوسبة فائقة عبر عنقود IBM Virgo الفائق، الذي يوفّر 97 تيرافلوب من القدرة الحسابية.

ما الذي يعنيه ذلك بحق الجحيم، لم تكن لديّ أدنى فكرة. لا أفهم ذرة واحدة في الحواسيب، لكنني أومأت برأسي لأنني فهمت من نبرتهما أن الكلام مهم. وكان ذلك وحده كافيًا لي كي أكون هناك.

بعد المجاملات الرسمية، غادرنا المكان، وأخبرني ريغوناثا أن لديه مفاجأة لي. قلت: «لنأمل ألا تكون نساءً. عمري 61 عامًا ولم أعد شابًا. النساء في هذه الأيام أحبّ أشكال الحديث إليّ، لأنني أنهل من براعتهن وذكاهن وأتغذى بهما معًا.»

قال إننا ذاهبون لرؤية امرأة. «لكن اطمئن يا ناندو، لا جنس في الأمر. يبدو أنها تعرف الشخص الذي تبحث عنه معرفة جيدة جدًا، وسترى أنها لن تخيب ظنك.»

«ثم إنك تعلم أننا، قبل أن نكون ماسونيين، رجال أحرار حسنو السيرة!»

«نعم، لكن لنبقَ يثيانا، أرجوك.» هاهاهاهاها.

دخلنا من بوابة بيتها. استقبلتنا شابة. لا بد أنها كانت في نحو الـ25 من عمرها، لكنني لم أظن أنها ابنة سوندار — وبالفعل، كانت ابنة أخت المرأة التي تنتظرنا.

رَحِّبْنَا بِنَا وَأَجْلَسْتَنَا عَلَى أَرِيكَتِهَا. قَدِّمْتَنَا لَنَا الشَّيْءَ الَّذِي لَا مَفْزَ مِنْهُ، لَكِنِّي، كَكَالابْرِي أَصِيلٌ، سَأَلْتُ مَتَى سَنَأْكُلُ. كُنْتُ أَعِيشُ عَلَى الْمَاءِ مِنْذُ يَوْمَيْنِ، وَكَانَتْ مَعْدَتِي قَدْ أَعْلَنْتِ الْإِضْرَابَ. لَمْ تَكُنْ قَدْ فَهَمْتَ بَعْدَ أَنَّنَا لَسْنَا فِي ابْطَالِيَا.

قدّمت المرأة نفسها باسم رادها، وراحت على الفور تطرح عليّ أسئلة مباشرة، وهي تعرف من أكون.

ملتُ نحو ريغوناثا وهمست: «رادها، مثل تلك التي في Zoho؟»

فقال، من دون أن تتغير ملامحه: «لا، تلك أصغر سنًا. وهذه أكثر حكمة.»

قالت إنها استمتعت كثيرًا بقراءة «ملحمة Wilkinson» على gillettenarrative.com. ربما قرأتها 20 مرة، وتعرّفت إلى نفسها في بعض المقاطع — في شخصية خالتها. ثم سألتني، بسحر أثنوي طاعٍ رغم أنها في الـ90 من عمرها، إن كان كل ما فيها حقيقيًا.

أجبتها بدعابة بسيطة: الحقيقة والكذب خوارزميتان من خوارزميات الحياة، وبينهما يقع السرد، الذي يبقى التعبير المرئي عن الشخص الوحيد الذي يكتنه.

ابتسمت، لكنها لم تُفاجأ. قالت لي إنها الإجابة الوحيدة التي كان يمكن أن أقدمها. فقد كشفت من أكون من دون أن تقول ذلك. ولهذا ستعطيني معلومات عن سوندار.

حين كان صغيرًا، كان يرسم دائمًا مئة صفر، ولم يكن أحد يفهم السبب. وذات يوم وضع أمامها الرقم 1. ظنًا أنه يمثل حسابه المصرفي في المستقبل. وبعد ثلاثين عامًا، كان يعمل لدى شركة تحمل هذا الاسم بالضبط: Google، من «غوغل»، أي 1 يليه 100 صفر.

كان الجميع مستعدين دائماً لنسبة هذا العيب إلى عمل أمه كاتبة اختزال. لكننا كنا في البداية فقط، واليوم نفهم أن العيب الذي وُلد به لم يكن في الحقيقة إلا كمالاً.

علمنا من مصدر موثوق أن أمه، فضولية كعادتها، سألت ابنها ذات يوم كيف يتدبر المصرف أمر إرسال كشف حساب إليه فيه 12 صفراً. فأجاب: «يكتبون الأرقام يدوياً بخط متصل. لا يتسع المكان.»

لاحظت أن المرأة والأخ الذي يرافقني — وهو أيضاً رجل متقدم في السن — كانا طوال الحكايات يتبادلان كثيراً نظرات ذات مغزى. لكنني كنت مرعزة فقط على ما أفعله، ولم أتوقف لأفكّر رموز مدونتهما السلوكية.

أخبرتني رادها أن سوندار كان دائماً محبوباً، وأن النساء كثيراً ما كنّ يرافقنه لأناقته وذكائه وجاذبيته. تكاد تكون صورة لي، لولا الفارق بين جيبينا.

وحين حانت اللحظة، رويت بعض الحكايات من أسفاري التي امتدت 40 عاماً عبر 65 بلداً: حكايات حياة، ونكات، ومغامرات. بدت المرأة مستغرقة إلى حد أنها دعتنا إلى العشاء. لكنني قررت بلباقة أن القبول ليس التصرف الصائب. لم أكن مستعداً بعد.

وبينما كنا نغادر، أعطتني ورقة صغيرة وقالت: «يا ناندو، اكتب إليّ متى شئت. أتلقي رسائلك بسرور بالغ. ويمكنك أن تنادينني خالتي — سأكون فخورة بذلك.»

كان ريغوناثا يضحك كالمجنون، ولم أفهم السبب. قال إنه لم يجد نفسه في موقف كهذا منذ 30 عاماً على الأقل. طلبت منه أن يعيدني إلى الفندق، لكنني قبل ذلك كنت فضولياً بما يكفي لأسأله:

«عذراً، ولكن ماذا كانت تعمل زوجتك؟»

فأجاب من دون تفكير: «كانت كاتبة اختزال.»

كدت أنفجر، لكنني تمالكت نفسي. عندها طلبت منه أن يتركني قرب الفندق. سأجد وحدي مكاناً أكل فيه، وفي اليوم التالي سأرحل.

سألني إن كنت بحاجة إلى شيء آخر، فدعوته إلى بيتي في كالابريا متى سنحت له الفرصة. سيسعدني أن أستضيفه — لأريه ما نجده نحن

الكلابريين في أي مكان من العالم.

لكن من كانت شخصيات هذه الحكاية حقًا؟

أناس حقيقيون. لم أسألهم قط من أين جاؤوا. تقبّلت حضورهم ببساطة، لأن هذا ما أفعله منذ 61 عامًا — وأنا على يقين من أن العالم لن ينساني.

وفي داخل ورقة السيدة الهندية الصغيرة، وجدت رسالة تقول: «عُد إليّ متى شئت. أنت مرحّب بك دائمًا.» وفي أسفلها كان عنوانها.

في اليوم التالي عدت إلى المحطة. بدا القطار غير راغب في الرحيل، ولم أعرف السبب. ربما كان ينتظرنني. أو ربما فهم أنه بعد «أفريقيا الخاصة بي»، يمكن لكلابري أن تكون له أيضًا «الهند الخاصة بي».

فرديناندو فريغا

BLADEFREGA · ناندو الكاتب